

ظهور الهجرة الدولية بمنطقة بني عمير وتطورها

- عوامل انتشار الهجرة الدولية ببني عمير -

*The apperance and development of international migration in Beni Omair**-The factors of the spread of international migration -*

د. يونس معديني

Madini Younes

جامعة السلطان المولي سليمان، بني ملال (المغرب)، younes.madani32@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/03/31

تاريخ القبول: 2020/03/22

تاريخ الاستلام: 2020/02/08

ملخص: على الرغم من غنى مواردها الفلاحية، عرفت منطقة بني عمير (إقليم الفقيه بن صالح) انتشارا مهما لحدث الهجرة الدولية خاصة نحو إيطاليا واسبانيا. وقد شغلت هذه الظاهرة تفكير عدد من سكان المنطقة، وصارت حلما يسعى كل واحد إلى تحقيقه، لتتحول في ظرف وجيز إلى حوض هجروي مهم على الصعيد الوطني. وتجدر الإشارة أن إلى أن عوامل كثيرة قد تحكمت في إنتاج هذه الظاهرة الاجتماعية غير المسبوقة على صعيد المنطقة. من هذه العوامل ما له علاقة بالقرابة الدموية والجوار الجغرافي، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية، ومنها ما هو مرتبط بالشبكة الهجروية *réseau migratoire* التي وفرها المهاجرون الأوائل بكل من إيطاليا واسبانيا، حيث ظلوا يقدمون مجموعة من الخدمات لأبناء المنطقة. إضافة إلى هذا وذاك، لعبت بعض المناطق المجاورة لبني عمير مثل منطقة بني مسكين بجوار مدينة سطات دورا مهما في انتشار ثقافة الهجرة بين الأفراد. كلمات مفتاحية: الهجرة الدولية، بني عمير، ذاكرة الهجرة، شبكة الهجرة.

Résumé : *Malgré ses richesses et ses dotations en ressources agricoles, La région béni- amîr (province de Fkih ben Salh), a constitué un bassin migratoire, à destination de l'Espagne et de l'Italie, et qui a un poids considérable sur le plan national.*

Divers facteurs, et mécanismes sont à l'origine de l'essor de cette émigration, les relations sociales, les liens de parenté, les réseaux migratoires en Espagne et en Italie, et le voisinage géographique ont facilité la migration, et son propagation en tant que culture.

Mots clés : *migration international ; beni Aamir ; réseau migratoire ; mémoire migratoire.*

1. مقدمة:

تعتبر الهجرة الدولية من الظواهر التي أصبح يعرفها عالمنا اليوم: فكل دول العالم صارت تستقبل مهاجرين جدد، وفي الوقت نفسه يغادرها هي الأخرى عدد من سكانها نحو بلدان ودول أخرى. لكن مع وجود فارق كبير: فهناك دول صارت وجهة لعدد مهم من المهاجرين مقابل دول تعرف نزوحا لعدد من سكانها نحو بلدان أخرى، وهذا ما جعل بعض الباحثين يصفون هذا العصر بـ «عصر الهجرة» ("أنتوني غيدنز، 2001، ص:60)، فقد تحول هذا العالم وفق التعبير الذي استعمله المشاركون في المؤتمر الثامن للجغرافية إلى قافلة للهجرة (أبلال عياد، 2006، ص:27).

لقد كانت الهجرة الدولية المغربية إفرزا للسياق الوطني والدولي، فقد برزت الظاهرة خلال الفترة الكولونيالية أي خلال مرحلة الاستعمار. ضمن هذا السياق الوطني ظهرت مناطق جديدة لانطلاق الهجرة الدولية، حيث لم تعد تيارات الهجرة الدولية مصدرها فقط المناطق الفقيرة اقتصاديا والمهمشة اجتماعيا والمتمثلة أساسا في مناطق الدير والجبل، بل نجد أن هذه التيارات صارت تغذيها كذلك مناطق غنية من الناحية الاقتصادية. وبموازاة مع ذلك، ظهرت بلدان هجرة جديدة صارت تجذب نحوها عددا من المهاجرين، ونعني هنا كل من إيطاليا وإسبانيا بعدما تحسنت أوضاعهما الاقتصادية.

في هذا السياق برزت منطقة بني عمير بسهل تادلا كحوض هجري انطلقت منه تيارات هجرية مهمة، فهذه المنطقة لم تكن منغلقة على نفسها إذ ظلت تربطها علاقات تاريخية بالمناطق المجاورة لها. فبعدما كان هذا المجال يستقطب عددا مهما من المهاجرين الباحثين عن فرص شغل بالقطاع المسقي أصبح حاليا يغذي تيارات هجرية مهمة نحو الخارج وخاصة نحو إيطاليا وإسبانيا.

حيث تتمحور الإشكالية التي سنحاول الإجابة عليها في هذا البحث على الشكل التالي: كيف ساهم حدث الهجرة الدولية في تشكل ذاكرة هجرية بمنطقة بني عمير وجعلها تتميز بخصوصيات معينة؟ ويهدف توضيح الإشكالية المطروحة، لابد من طرح مجموعة من التساؤلات التي ستعيننا

على إمطة اللثام عن العناصر الأساسية للإشكال المطروح، وفي هذا الإطار قمنا ببلورة الأسئلة التالية: ما هي الظروف والعوامل التي ساهمت في ظهور وتطور الهجرة الدولية ببني عمير؟ وكيف انتشرت ظاهرة الهجرة بمنطقة بني عمير؟

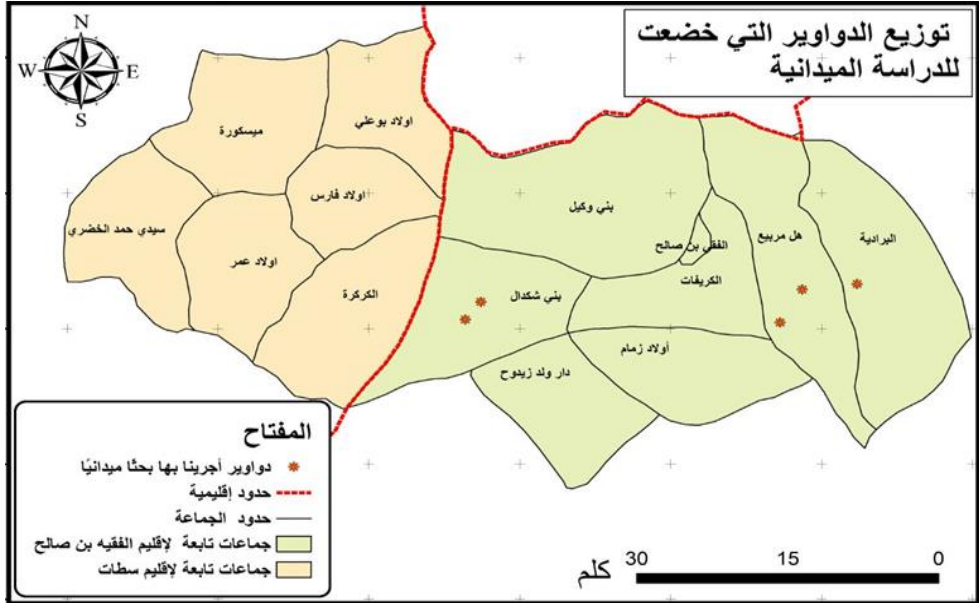
وكما هو معلوم في حقل العلوم الاجتماعية فهي تستوجب وضع فرضيات، في هذا الصدد قمنا بصياغة مجموعة من الفرضيات للإجابة عن إشكالية البحث المطروحة والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- الفرضية الأولى: شكلت الهجرة الدولية في اتجاه إيطاليا وإسبانيا في السنوات الأخيرة حدثا بارزا بمنطقة بني عمير بشكل خاص وسهل تادلا بشكل عام، وهو حدث انخرط فيه عدد من سكان المنطقة بمختلف أعمارهم.
- الفرضية الثانية: تحكمت مجموعة من العوامل والآليات في انتشار الفعل الهجروي بالمنطقة، فقد كان للقرابة الدموية والجغرافية والعلاقات الاجتماعية دور في انتشار ثقافة الهجرة وانتقالها بين الأفراد.

في هذا الإطار شمل بحثنا هذا بالدراسة منطقة بني عمير، حيث اعتمدنا في اختيار الدواوير موضوع الدراسة على معيار القرب الجغرافي من منطقة بني مسكين، بهدف معرفة الدور الذي يمكن أن تكون قد لعبته هذه المنطقة في انتقال الفعل الهجروي. وعلى العموم فقد أجرينا بحثنا على 5 دواوير بمنطقة بني عمير وهي: (دوار أولاد امبارك، أولاد ركيعة، أولاد سالم، أولاد احمد، أهل امربع) كما يوضح الشكل 1.

ظهور الهجرة الدولية بمنطقة بني عمير وتطورها
- عوامل انتشار الهجرة الدولية ببني عمير-

الشكل 1: خريطة توزيع الدواوير التي خضعت للدراسة الميدانية.



المصدر: عمل شخصي 2016-

أما بالنسبة للهدف من هذا البحث، فيكتسي أهميته من خلال محاولته الوقوف على خصائص الذاكرة الهجرية سواء في بعدها الفردي أو الجماعي، وكذا ظروف وعوامل تشكلها بمنطقة ظلت تعتبر مختبرا للهجرة على الرغم من تجربتها السقوية المبكرة. فالهدف إذن هو محاولة توثيق الفعل الهجروي بالمنطقة وتحديد الكيفية التي انتشرت بها الهجرة الدولية، وذلك اعتمادا على منهج بيوغرافي يقوم على سير حياة المهاجرين الأوائل.

فالإسطوغرافيا التي أنتجت حول الهجرة الدولية بالمنطقة لم تعط للموضوع حقه، مع العلم أن المهاجر المغربي عامة والمهاجر العميري على وجه الخصوص يعتبر فاعلا أساسيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمناطق الانطلاق.

ومما لا شك فيه أن المنهجية المعتمدة في البحث تعتبر من الخطوات المهمة باعتبارها تنير الطريق أمام الباحث وتجنبه التيه والابتعاد عن صميم الموضوع، ضمن هذا الإطار وجهنا اهتمامنا إلى الاطلاع على النظريات التي اهتمت بالهجرة وكذلك الدراسات السابقة حول الظاهرة.

كما اعتمدنا على البحث الميداني، وذلك بهدف الاقتراب من واقع الموضوع حيث حاولنا الجمع بين "المنهج الكيفي Méthode Qualitative والمنهج الكمي Méthode Quantitative نظرا لأهميتهما في فهم الظاهرة، من خلال اعتمادنا على منهجية السير الحياتية récit de vie. (توفيق أكومي، 2000، ص: 17-24) وهي نموذج بحثي يقوم على المنهج البيوغرافي من خلال توظيف منهجية "سير الحياة التي تستهدف إعادة إحياء تجربة الفاعلين. هذا المنهج يعتبر من المناهج النوعية الهامة في العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء.

1. سهل تادلة حوض هجروي تطور بشكل مهم خلال العقود الأخيرة:

1.2. انطلقت الهجرة الدولية بشكل مبكر من منطقة الجبل والدير بسهل تادلة:

اقتصرت الموجة الأولى للمهاجرين بسهل تادلة على المناطق الجبلية ومناطق الدير، حيث كانت بداياتها خلال مرحلة الحماية واستمرت بعد الاستقلال، فقد ظلت وجهتها الرئيسية هي فرنسا نظرا لحاجتها الملحة إلى اليد العاملة لإعادة بناء اقتصادها بعد الحرب العالمية الثانية. حيث تميزت بكونها هجرة انتقائية ارتبطت تاريخيا بالفرنسي فيليكس مورا Félix Mora (أحد الضباط الفرنسيين ورئيس مكتب الشؤون الأهلية بكلميم إبان فترة الحماية الفرنسية) الذي كان يسهر على تدبيرها، وهي هجرة منظمة من طرف الحكومة الفرنسية عن طريق عقود العمل ومن بين هذه المناطق التي شملتها الموجة الأولى من الهجرة، نذكر القصيبة التي كان حاكمها ويدعى "سعيد واسو" على معرفة شخصية بهذا الضابط الفرنسي.

لقد كانت الهجرة بمنطقة الدير والجبل (نموذج القصيبة) تتم وفق مجموعة من المعايير في انتقاء الأشخاص الذين يتوفرن على مؤهلات جسمانية تجعل الشخص قادرا على القيام ببعض الأعمال الشاقة مثل قطع الأشجار بالغابات الفرنسية. على هذا الأساس توجه المهاجرون الأوائل نحو فرنسا بعدما تمكنوا من الحصول على عقد عمل، لتتوسع دائرة الهجرة بعد التحاق مهاجرين آخرين عن طريق شراء عقود للعمل ومنهم من أبرموا عقد زواج مصلحة مع إحدى الفرنسيات للحصول على أوراق الإقامة.

إن ما يميز الموجة الأولى من المهاجرين هو انطلاقها من مناطق فقيرة اقتصاديا، تتميز بظروف طبيعية قاسية وتعاني من التهميش الاجتماعي. وهذا عكس الظروف السوسيو اقتصادية

للموجة الثانية. كما ظلت الهجرة إلى أوروبا (نموذج فرنسا) خلال الموجة الأولى (فترة الستينات) ينظر إليها في غالب الأحيان بشكل سلبي ويتم تمثيل فاعليها على أنهم فاشلين اجتماعيا ومعرضون للتنصير دينيا وعدم شرعية الأموال التي يتم جنمها ببلاد النصارى.

2.2. ظلت منطقة بني عمير في منأى عن الهجرة الدولية المنظمة.

لم تندمج منطقة بني عمير ضمن الهجرة الدولية المنظمة التي عرفت مناطق الدير والجبل، ويعزى ذلك إلى جملة من الاعتبارات تتمثل أساسا في الأهمية الاقتصادية للسهل على المستوى الوطني نظرا للتجربة السقوية المبكرة التي عرفها، فقد شكل النشاط الفلاحي العصري وبعض الوحدات الصناع فلاحية والإدارية بنى تحتية ساهمت في تأخر هذا الاندماج.

ففي بداية القرن العشرين عرفت منطقة بني عمير مجموعة من التحولات الفلاحية، والتي انطلق مسلسلها بإدخال السقي العصري مما ساهم في الانتقال من بنايات فلاحية ما قبل رأسمالية تعتمد على الزراعة الموسمية والرعي الواسع إلى بنايات فلاحية رأسمالية تركز على نظام كثيف في الزراعة وتربية الماشية^(مدينة محمد، 1992، ص: 246) وكنتيجة لعملية السقي فقد ارتفع ثمن الأرض ليبلغ ثمن الهكتار المسقي العالي الجودة حوالي 18 مليون سم، بينما لا يتعدى ثمن الهكتار البوري 4 ملايين سم، كما ارتفع الإنتاج وتعددت أنواع المحاصيل الزراعية مما خلق فرص مهمة للعمل (أبو العز عبدالفتاح، 2003، ص: 32).

3.2. انخرطت منطقة بني عمير ضمن الموجة الثانية من الهجرة الدولية مع بداية الثمانينات:

بالرغم من أن منطقة بني عمير تشكل نموذج لمناطق السهل التي عرفت تجربة سقوية مبكرة فإنها تحولت إلى حوض هجروي، وهو ما أشار إليه أحد الدارسين بالقول "فالسهل الغني بتجهيزاته الهيدرو فلاحية يأبى إلا أن ينخرط في تيار الهجرة الدولية التي مست % 20 من أسرة أي 12000 مهاجرا دوليا ليعاكس أطروحة ارتباط الهجرة الدولية بالنطاقات الفقيرة وغير المجهزة". فما هي خصائص هذه الهجرة؟ (أبو العز، 2003، ص: 32).

عرفت منطقة بني عمير خلال أواسط الثمانينات من القرن العشرين هجرة مهمة، شكلت كل من ايطاليا واسبانيا وجهتها الرئيسية وهي هجرة اتخذت شكلا غير منظم عكس ما شهدته

منطقة الجبل والدير. فمن خلال البحث الميداني أمكننا الوقوف على التطور الكرونولوجي لهذه الهجرة.

يتضح لنا من خلال البحث الميداني أن حوالي 20% من المهاجرين كانوا يتواجدون بالخارج قبل سنة 1976، بل أن أحد هؤلاء المهاجرين العميريين الأوائل قد هاجر نحو أوروبا سنة 1957 (يتعلق الأمر بشخص ينتهي لدوار أهل امربع قد تمت هجرته سنة 1957، حيث يشكل استثناءا منفردا داخل المجال العميري)، وبذلك فالهجرة الدولية بمنطقة بني عمير قد برزت أهميتها بشكل بارز خلال أواسط الثمانينات، وإن كانت بوادها الأولى قبل ذلك كما سبقت الإشارة، غير أنها كانت ضئيلة ولم يكن لها تأثير كبير. ويمكن الوقوف على خصائص كل مرحلة على الشكل الآتي:

- المرحلة الأولى: ما قبل 1976

لقد شكلت هذه الفترة البوادر الأولى لانطلاقة للفعل الهجروي بالمنطقة، فعدد المهاجرين إبان هذه المرحلة ضئيل مقارنة بالمراحل اللاحقة، والبعض من هؤلاء المهاجرين هاجر خلال أواسط الستينات، ويمكن القول أن الأمر يتعلق بعدد قليل من الأشخاص الذين كانوا يتعاطون للتجارة بشكل موسمي ولا يتوفرون على بطاقة الإقامة بدول الاستقبال التي ظلت تعتبرهم مهاجرين غير قانونيين على أراضيها نظرا لكونهم دخلوا الأراضي الإيطالية بجواز سفر فقط، لكنه ونظرا لحاجة اقتصادها لليد العاملة فقد كانت تتعامل بنوع من المرونة مع هؤلاء المهاجرين، يقول أحد المستجوبين:

" هاجرت إلى إيطاليا سنة 1972 (...) وكنا نهاجر فقط بجواز السفر (...) والبلد الذي يتساهل مع وضعيتنا (المهاجر يكون في وضعية غير قانونية عند وصوله لإيطاليا) كما أخبرني أبناء الدوار هو إيطاليا (...) فبالرغم من أنني كنت أمر عبر فرنسا فإني لم أفكر يوما أن أستقر فيها، لأنني لا أعرف عنها أي شيء... كما أن تعامل الفرنسيين معنا يطبعه العنصرية " (مهاجر ب. ن 60 سنة).

بل إن هذا التعاطف قد يصل أحيانا إلى تقديم المساعدة عكس الممارسات العنصرية التي يواجهونها في بعض البلدان، كما أن المهاجرين الأوائل الذين هاجروا خلال هذه الفترة تأثروا

بهجرة المناطق المجاورة، ونعني هنا منطقة بني مسكين التي راكمت رصييدا هجريا مهما وشكلت شبكة هجروية réseau migratoire مبكرة بإيطاليا.

- المرحلة الثانية: 1976-1985.

وخلال المرحلة الثانية (1976-1985) بدأ يتزايد عدد المهاجرين في التدفق نحو إيطاليا بشكل، كما أننا نسجل تقارب في وتيرة الهجرة لدى الدواوير التي شملها البحث. ومما ساهم في هذه الهجرة الدور الذي لعبه المهاجرون الأوائل بكل من إيطاليا وإسبانيا بفضل شبكة هجروية réseau migratoire ناهيك عن الظروف المتأزمة التي عرفه القطاع الفلاحي بالمنطقة نتيجة الإجراءات التي طبقتها الدولة في إطار سياسة التقويم الهيكلي لسنة 1983 والتي تمثلت في تخفيض الدعم المقدم للفلاحين، وتزامن ذلك مع ما شهدته المغرب من توالي سنوات الجفاف مما ساهم في ارتفاع تكاليف الإنتاج بالإضافة إلى ارتفاع حدة البطالة في صفوف الشباب.

- المرحلة الثالثة: 1986-1995.

لتعرف الهجرة وتيرة أسرع خلال المرحلة الثالثة (1986-1995) ويعزى ذلك إلى عمليات التسوية القانونية التي بادرتها الحكومة الإيطالية وتشجيعها للتجمع العائلي، فمعظم المهاجرين من الجيل الأول قد تمكنوا من التأقلم مع طبيعة الحياة في بلدان الاستقبال ونجحوا في تحقيق نوع من الاستقرار، وهو ما دفع بهم إلى استقدام أفراد عائلتهم بعدما تمكنوا من تسوية وضعيتهم القانونية بكل من إيطاليا وإسبانيا خلال هذه الفترة، كما صرح بذلك العديد من المستجوبين: "حصلت على أوراق الإقامة بإيطاليا سنة 1986، ففكرت في اصطحاب 3 من أبنائي سنة 1988 ثم لحقتهم والدتهم سنة 1990 وقمت بكراء شقة والاستقرار بها" (مهاجر ط. م 60 سنة). فالمهاجرين بعد حصوله على أوراق الإقامة بالمهجر يضطر إلى تغيير ظروف عيشه من خلال استقدام أفراد أسرته وتوفير مسكن يضمن لهم الاستقرار، كما يضطر إلى تغيير وضعيته المهنية من خلال الاشتغال بأعمال قارة وذلك حتى يتمكن من تجديد أوراق إقامته.

- المرحلة الرابعة: 1996-2005.

خلال هذه الفترة بدأ عدد المهاجرين نحو إيطاليا في التراجع ويفسر ذلك بصعوبة العبور إلى الضفة الأخرى، حيث شرعت بلدان الاتحاد الأوروبي ومن بينها إيطاليا في تشديد مراقبتها للحدود نتيجة التدفقات الكبيرة للمهاجرين، وبدأت نظرتها تتغير اتجاه هؤلاء بعدما حققت تطورها الاقتصادي، يقول أحد المستجوبين:

" فيما قبل كانت الحدود الإيطالية مفتوحة لكنه ومع تطبيق نظام التأشيرة أصبح العبور نحو إيطاليا صعبا للغاية (...). فأصبح الحل هو الهجرة السرية... "(مهاجر م. ل 62 سنة).

- المرحلة الخامسة: ما بعد 2006.

وخلال الفترة الأخيرة (ما بعد 2006) تراجع عدد المهاجرين بشكل مهم جد وذلك بفعل الأزمة الاقتصادية لسنة 2008 التي أثرت سلبا على اقتصاديات بلدان المهجر، حيث بدأت تظهر بوادر هجرة معاكسة ونعني هنا "هجرة العودة"، في انتظار أن تتحسن الأوضاع الاقتصادية بهذه البلدان لمهاجروا إليها مرة أخرى.

2. العوامل التي ساهمت في الهجرة الدولية ببني عمير

1.1. دوفع اقتصادية مرتبطة بتأزم القطاع الفلاحي:

كان ينتظر من منطقة بني عمير بعد ادخال السقي أن تصبح مجالا جاذبا للهجرة الداخلية من المناطق المجاورة، لكن نجدها عكس ذلك قد أصبحت حوضا هجرويا بامتياز. هذه المفارقة يمكن تفسيرها بمجموعة من العوامل في مقدمتها العامل الاقتصادي، فما أصبح يعانيه القطاع الفلاحي من مشاكل مرتبطة بالظروف التي عرفتها المنطقة خلال بداية الثمانينات خاصة بعدما أصبحت تتناقص فيها وسائل العيش المحلية قد دفع بالعديد من الأفراد إلى التفكير في الهجرة.

فالقطن الفلاحي الذي ظل يشكل قطاعا أساسيا بالنسبة لمجال بني عمير قد أصبح يعاني من خلل ستكون له انعكاسات وخيمة على أبناء المنطقة، فقد عرفت تكلفة الإنتاج ارتفاعا متزايدا، حيث بلغت تكلفة الهكتار الواحد من الأرض حوالي 11000 درهم سنة 1991 نظرا لارتفاع تكلفة اليد العاملة. (عبد المجيد ازمو، 2006، ص: 50).

وبالرغم من أن ثمن المنتوجات الفلاح صناعية قد عرف ارتفاعا مهما فثمن الكيلوغرام الواحد من القطن ارتفع سنة 1993، إلا أن هذا التطور لم يكن يوازي تكاليف الإنتاج لهاته المادة مما جعل هامش الربح ضيقا ولم يتجاوز 678 درهم للهكتار سنة 1991، وأحيانا تفوق تكلفة الإنتاج الربح.

هذا في الوقت الذي تراجع فيه دعم الدولة للفلاح نتيجة تطبيق المغرب لبرنامج التقويم الهيكلي لسنة 1983 في المجال الفلاحي حيث تم إلغاء الدعم المخصص لبعض المزروعات ولبعض المعدات ووسائل الإنتاج الفلاحي. فبدءا من التسعينات تغيرت سياسة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي حيث أصبح الفلاح مطالبا بتسديد الديون التي في ذمته قبل فترة الإنتاج، فعلى سبيل المثال فان فاتورة ماء السقي يجب أن تسدد كل 3 أشهر وهو ما ساهم في ارتفاع تكاليف الإنتاج خاصة بعدما أصبح الفلاح يقوم باقتناء كل معداته الفلاحية دون مساعدة من الدولة، يقول أحد المستجوبين:

"(...) في تلك الفترة لم أعد أستطيع الاستمرار في الفلاحة، فقد أصبحت غير معول عليها لضمان مستوى عيش أفضل (...) فالدولة لم تعد تقدم لنا المساعدة (...) كما أنك تظل تشتغل كأجير بأجر قليل..." (مهاجر، ط. م 61 سنة).

وقد تزامن هذا الوضع مع ما عرفته المنطقة من توالي سنوات الجفاف حيث تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1980 إلى غاية 1995 من أشد فترات الجفاف الفلاحي التي عرفها المغرب، وهو ما كان له انعكاسات خطيرة على الوضع الفلاحي خاصة بالعالم القروي الذي كان يعاني من التهميش الاجتماعي (عويضة عبد الله، 1982، ص:14-15)، حيث ما زالت الذاكرة الجماعية تحتفظ بذكريات حول هذه الفترة:

"كُنْتُ فَلَاحٌ وَ لِفَلَاحَةٍ دِيكَ الْوَقْتُ مَا بَقِيَ فِيهَا مَا يُدَارُ، كُئِثِي غَلَا وَ الْمَا (التساقطات المطرية) مَا كَائِنَشُ (...) كَانْتُ غُنْدِي 15 كُنَارُ مِنْ الْفَلَاحَةِ وَ لَيْتِي كُلُّهَا أَرْضُ بُورْ، مَا كَائِنَشُ اللَّيْ يُعَاوُنُكَ وَ بُدِينَا نُشُوفُو النَّاسَ اللَّيْ جَائِينَ مِنْ الْخَارِجِ (خلال زيارتهم للدوار) عَائِشِينَ بِخَيْرٍ... بُنَادُمْ بُدَا يُفَكِّرُ يَمِشِي الْخَارِجُ..." (مهاجر، م. ر. 69 سنة) (كنت أمارس الفلاحة، غير أن هذا القطاع أصبح يواجه

عدة صعوبات نظرا لقلّة التساقطات، حيث كنت أملك 15 هكتارا كلها بورية، هذا في الوقت الذي عرفت المنطقة هجرة مكثفة لأبنائها مما ساهم في تحسن ظروفهم، وهو ما دفعني للتفكير في الهجرة...).

كما أن التطور الذي عرفته الفلاحة المسقية بالمنطقة لم يصاحبه احداث وحدات صناعية قادرة على تامين الانتاج الفلاحي وتحويل مواد فلاحية إلى منتوجات صناعية، بشكل يضمن توفير فرص الشغل لفئة مهمة من الشباب الذي يعاني من البطالة، مما شكل دافعا مهما للهجرة الدولية

2.2 دوافع اجتماعية مرتبطة بقلّة فرص الشغل ببني عمير.

عرفت منطقة بني عمير ارتفاع حدة البطالة كنتيجة لتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي فقد تبين لنا من البحث الميداني أن نسبة مهمة من اليد العاملة كانت تشتغل بالقطاع الفلاحي الذي تأزم نتيجة ارتفاع تكاليف الإنتاج، كما ظلت فئة مهمة من السكان تعاني من البطالة. فما يمكن استنتاجه من معطيات المبيان هو تأزم الظروف الاجتماعية للمهاجرين قبل الهجرة، ويعزى ذلك إلى الأزمة التي أصبح يعرفها القطاع الفلاحي وعجزه عن توفير فرص الشغل لفئة عريضة من شباب المنطقة نتيجة إملاءات المؤسسات المالية الدولية على المغرب في إطار برنامج التقويم الهيكلي، والتي كانت نتائج كارثية في القطاع الاجتماعي إذ ستساهم في تخفيض فرص الشغل كما يوضح الجدول التالي:

الشكل 2: تطور معدلات البطالة في المغرب ما بين 1990-2000.

السنوات	1992-1989	1997-1996	2000
معدل البطالة	16.0	16.9	21.5

- Source : Khadija Elmadmad, 2004, p : 28.

فكما هو واضح من الجدول أعلاه فقد عرفت نسبة البطالة تطورا مهما على المستوى الوطني حيث ارتفع معدلها من 16% خلال الفترة ما بين 1992-1989 إلى حوالي 21.5% سنة 2000، وهي الفترة التي نشطت فيها الهجرة الدولية ببني عمير كما سبقت الإشارة حيث اضطّر العديد من شباب المنطقة بسبب تأزم الوضع الاجتماعي إلى الهجرة كوسيلة لتحسين ظروفهم

المادية، نظرا لما تتيحه دول الاستقبال من إمكانيات لتحقيق ذلك، وبذلك يصبح المهاجر مدركا للمنفعة التي سيحققها من مشروعه الهجروي إذا ما أقبل على تنفيذه وهو ما يحيلنا على نموذج الفرص أو الإمكانيات الوسيطة ضمن النظرية الاقتصادية، يقول أحد المستجوبين:

" (...) هُنَا فَالِدَوَّارُ كَائِنَةٌ تَمَّارَةٌ وَلَيَّيِّ مَاكَيْنُشُ الْفُلُوسُ (...) كَأَنَّ الْوَاحِدُ مُنَّا يَخْدُمُ نَهَارًا كَامِلًا (...) فَالطَّالِيَانِ كَائِنَةٌ تَمَّارَةٌ وَكَائِنِيْنِ الْفُلُوسُ... " (مُهَاجِرٌ ع. م 60 سنة). (في بلدك تشتغل يوم كامل وبجهد أكثر لكن بمقابل مادي زهيد...، أما في إيطاليا فيمكن أن تقوم بنفس المجهود لكن بأجرة مرتفعة).

من خلال هذا الخطاب يتضح لنا أن الفارق في الأجور بين المغرب والخارج يمثل عنصرا أساسيا ضمن مشروع الهجرة بمنطقة بني عمير، فما يحصل عليه المهاجر هنا يعتبر ضئيلا مقارنة مع ما سيحصل عليه في الخارج حيث الأجور مرتفعة، (نظرية الفرص أو الإمكانيات الوسيطة).

كما أن العديد من المهاجرين يعتبرون العزلة التي تعانيها مناطقهم القروية دافعا للتفكير في الهجرة، فمن جهة هناك قلة فرص الشغل ومن جهة أخرى فالدولة لم تتدخل لدعم القطاع الفلاحي الذي تأزمت أوضاعه. هذا في الوقت الذي عجزت فيه المدرسة عن أداء الأدوار التي كانت تقوم بها فيما مضى كعامل للارتقاء الاجتماعي فسياسة التقويم الهيكلي كانت نتائجها سلبية على القطاع العمومي، ولعل هذا ما يفسر لنا غياب وضعف البنيات التحتية بالمنطقة خاصة تلك المتعلقة بالتعليم حيث لم تتمكن شريحة مهمة من سكان المنطقة حسب البحث الميداني من الوصول إلى المدرسة، كما أن نسبة مهمة من السكان لم تستطع متابعة دراستها بمختلف أسلاك التعليم.

ومن ثم فالبنية الثقافية لغالبية سكان المنطقة عامل مفسر للبنية المهنية، كما أنها عامل مشجع لمجموعة من الشباب على اتخاذ قرار الهجرة نحو الخارج من أجل تحسين وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية كما صرح بذلك العديد من المستجوبين.

فقد أمكننا البحث الميداني من الوقوف على بعض من الدواوير التي تفتقر للعديد من المرافق التعليمية والبنى التحتية، هذه الظروف شكلت دافعا قويا لمغادرة الدوار والبحث عن

فرص أفضل في الخارج. وعليه كانت الهجرة هي الحل كما عبر عن ذلك الباحث عبد الرحيم العطري بالقول "تؤشر الهجرة دوما على نوع من الحراك الاجتماعي داخل المجال، والذي يفترض انتقالا اجتماعيا من فضاء إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى". (العطري عبد الرحيم، 2006، ص:115).

3.2. دوافع ثقافية مرتبطة بكون الهجرة كمعطى ثقافي.

ظلت الهجرة الدولية كثقافة متجذرة وراسخة في مجتمع بني عمير، فالهجرة هي ظاهرة إنسانية والمعطى الثقافي يعتبر أحد أهم الدوافع التي تدفع هذه المجموعات إلى الهجرة من مكان إلى آخر. ومن تم يمكن اعتبار الهجرة بمثابة سلوك مكتسب من المحيط الاجتماعي الذي ينشأ فيه الفرد، فغالبية الأسر ببني عمير تمتلك مهاجرا على الأقل بالخارج، أي أن الفرد له مجموعة من الأقارب (أخ، عم، خال...) بالخارج حيث يصير الفعل الهجروي ثقافة ويتحول إلى سلوك، يقول أحد المستجوبين:

"(...) بُدِيتْ نُفَكْرُ نُمَشِي لَطَّالْيَانُ مَلِي كُنْتُ صَغِيرُ، عَمَامِي وَخَوَالِي وَوَلَادَهُمْ كُلُّهُمْ مَشَاو حَتَّى الْفُقِيهْ ذِيَالِ الدُّوَارِ مَشَا (...) هُنَا فَالدُّوَارِ كَتَّصِيبِ فُخْدَةَ كُلُّهُمْ فَالطَّلْيَانُ (...) هَاذِ الْبِلَادُ دَاتْ لِينَا الْعُقْلُ ، نُفَكْرُوا فِيهَا بِالْيَلِ وَالنَّهَارُ..." (مهاجر، م.ر.69 سنة) (بدأت التفكير في الهجرة منذ الطفولة، فكل أقاربي قد هاجروا ولم يسلم من هذه الهجرة امام مسجد قريتنا... وبصراحة فالخارج قد سلب كل عقولنا نفكر فيه باستمرار).

ومما يؤكد أن الهجرة قد صارت ثقافة ببني عمير هو أن العديد من المهاجرين كانوا ينتمون لأسر ميسورة تمتلك مساحات شاسعة من الأراضي المسقية، حيث لم تعد مقتصرة على الأسر الفقيرة بالمنطقة. هذه الثقافة قد تتحول إلى مرض كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين بالقول: " هكذا تتجدر هاته العدوى في مناطق الانطلاق لتصبح مرضا متفشيا علاجه الوحيد هو الهجرة الدولية ذاتها" (منير صالح، 1996، ص:299) فيصبح الحل هو الهجرة الدولية ذاتها، ومن ثم تصير الهجرة ظاهرة تغذي نفسها بنفسها.

4.2. دوافع نفسية مرتبطة بالتأثير النفسي للهجرة على باقي الفئات.

مارست الهجرة تأثيرا قويا على فئات عريضة من شباب المنطقة، حيث ظل هذا الحلم يراود كل فرد فعبارة "بُعَيْتُ نُمْشِي لَطْلَائِنُ نُجَيْبُ فُلُوسُ خُرَائِنُ" (أريد الهجرة نحو إيطاليا للحصول على المال) تتردد باستمرار بل ترسخت في الذاكرة الجماعية للمنطقة. فالزيارات المتكررة للمهاجر وحجم تحويلاته المالية والقيمة التي يحظى بها داخل الأسرة والدوار، كل ذلك يؤجج في نفوس الشباب فكرة الهجرة وتتأكد الفكرة كلما تأزمت الظروف الاقتصادية والاجتماعية، مما يجعل حدث الهجرة قريبا منه نفسيا كما أشار إلى ذلك الباحث "أبو العز" في دراسته لمنطقة تادلا.

إذ لم تعد للمسافة الكيلومترية أي معنى أمام المسافة النفسية التي تجعل حدث الهجرة قريبا إلى المهاجر العميري، فتصبح العراقيل والحدود الجغرافية التي تفصله عن الوصول إلى وجهته ولا تشكل بالنسبة إليه أية صعوبة، ولذلك نجده يقطع الأدغال أو يعبر العديد من البلدان في سبيل الوصول إلى إيطاليا، يقول أحد المستجوبين:

"(..) الخَارْجُ بالنَّسْبَةِ لِيَا هُوَ مِيْلَانُو، مَتَنَعْرَفْشُ شِي بِلَادُ أُخْرَى، وَحَتَّى وِلَادُ الدَّوَارِ بَحَالِي (...)
كُلُّ الوُقْتِ تَهْدُرُو عَلِيهَا..." (مهاجر، س. م 75 سنة). (الخارج بالنسبة لي هو ميلانو (عاصمة إيطاليا) لا أعرف بلدا سواها ونفس الشيء بالنسبة لأبناء قريتي...).

فحلم الوصول إلى الضفة الأخرى لا يفارق الفرد حيث يشكل هاجسا نفسيا بالنسبة له، نتيجة صورة النجاح الاجتماعي التي يجسدها المهاجر خلال زيارته لموطنه الأصلي، والتي تعطي انطبعا لباقي الأفراد على أن المهاجر يعيش في البذخ والثراء ببلدان المهجر، (Khadija Elmadmad, 2004, p: 27) فالمهاجر هو ذلك الشخص الذي يحس بنوع من العنف في موطنه الأصل نتيجة ما يتصوره عن الحياة والعيش بدول المهجر، من خلال ما يراه في حيه ومدينته من آثار الهجرة الخارجية مما يدفعه نحو التفكير في المغامرة.

هذه التصورات حول طبيعة الحياة بالخارج سرعان ما تدفعه نحو التقليد الاجتماعي، أي تقليد أفراد من محيطه الاجتماعي نجحوا في الهجرة، فالتقليد هنا هو إعادة إنتاج السلوك الذي

شكله شخص آخر. وعليه فان ظهور الهجرة الدولية بمنطقة بني عمير هو نتاج لهذه العوامل مجتمعة، فهي ظاهرة معقدة يتداخل فيها ما هو اقتصادي واجتماعي وثقافي ونفسي، ولا يمكن النظر إليها من زاوية واحدة بل المطلوب دراستها من زوايا متعددة وفق رؤية شمولية.

3. عوامل وآليات انتقال الفعل الهجروي ببني عمير

لقد تفننت أدبيات الهجرة بوصف المنطقة على أنها حوض هجروي مهم، من هذا المنطلق سيكون من اللازم تحديد الكيفية التي جعلت من هذا المجال حوضا هجرويا، وذلك من خلال الوقوف على آليات انتقال الفعل الهجروي. حيث لعبت الشبكات الهجروية وما ارتبط بها من قرابة جغرافية ودموية دورا مهما في انتشار الفعل الهجروي، كما كان للقرب الجغرافي لبني عمير من منطقة بني مسكين دور لا يقل أهمية عن سابقه في انتقال الهجرة.

1.3. دور الشبكة الهجروية في انتشار الهجرة الدولية داخل منطقة بني عمير:

تعد الشبكة الهجروية *réseau migratoire* بمثابة الوسيلة التي من خلالها استطاع عدد من المهاجرين الوصول إلى بلدان الاستقبال، فهي تمارس تأثيرها على المرشح الجديد للهجرة إذ قبل هجرته فهو يحتاج إلى ما يضمن نجاح مشروعه الهجروي ببلد الاستقبال وبعد وصوله يحتاج إلى من يوجهه ويساعده.

هذا الدور موكول للمهاجرين الأوائل الذين شكلوا شبكة هجروية في كل من إيطاليا واسبانيا، فمن أجل ضمان تعلقهم واستمرارية علاقتهم بالموطن الأصلي يعمدون إلى تأسيس مجتمع قروي مصغر يستجيب لنفس القواعد والتنظيم للموطن الأم مما يضمن الارتباط الوثيق به. وهو ما شجع على هجرة العديد من المهاجرين.

فقد لعبت الشبكة الهجروية دورا مهما في احتضان المهاجر الجديد ببلد الوصول، ذلك أن حوالي ثلاثة أرباع من المهاجرين الذين شملهم البحث الميداني قد استفادوا من خدمات مهاجرين آخرين، وهو ما يشكل دليلا قويا على العلاقات الاجتماعية ومدى دورها في انتقال الفعل الهجروي ببني عمير. فالقرابة الدموية بين المهاجرين والمرشحين للهجرة لعبت دورا مهما في انتشار الفعل الهجروي وانتقاله بين أبناء المنطقة.

فمن المؤكد أن الهجرة بالمنطقة لعبت فيها العلاقات الاجتماعية دورا أساسيا، فالمهاجر يظل مرتبطا بموطنه الأصلي بحكم أواصر القرابة الدموية القريبة والبعيدة التي تربطه بالدوار، فخلال زيارته المتكررة يعمل على اصطحاب أحد أفراد أسرته أو من تربطهم به قرابة دموية أو انتماء جغرافي، كما يوفر لهم مجموعة من الخدمات والمساعدة ببلد المهجر فتتسع دائرة الهجرة بالمنطقة وتتطور الشبكة الهجرية. يقول أحد المستجوبين:

" إذا كنت تتوفر على أحد أفراد عائلتك بالخارج فيمكنك أن تهاجر من الغد، لأنهم سيوفرون لك ما تحتاجه (...) وسيجعلون من هجرتك أمرا سهلا يمكن تحقيقه وباطمئنان (...). أما إذا كنت لا تملك أحدا فأنت لا تدري أين تذهب ومن سيساعدك هناك..." (مهاجر، س. غ، 56 سنة).

1.1.3. المستوى الأسري ضمن الشبكة الهجرية:

تلعب الأسرة دورا مهما في توجيه المشروع الهجروي للأفراد المقبلين على الهجرة وحتى في انتقال الفعل الهجروي بينهم، ففكرة الهجرة تكون أقرب إلى ذهن الفرد وتمارس عليه ضغوطا يوميا كلما توفر في أسرته مهاجرون، بل تزيد من احتمال الهجرة وتوجيهها نحو وجهة معينة دون أخرى، "فالأسرة تعبر عن أهمية الروابط التي تربط بين مناطق الانطلاق والاستقبال" كما تمثل استمرارية لهذه العلاقات.

من هنا يمكن القول إن الأسرة ظلت تلعب دورا أساسيا في هجرة أحد أفرادها فالمهاجر، منذ وصوله يظل على اتصال بمحيطة وأسرته، هذه الأخيرة تظل تبحث عن المعارف أو ما يمكن تسميته بشبكة ثقة *réseau de confiance* التي يمكن أن يعتمد عليها هذا الفرد سواء أثناء سفره أو عند وصوله إلى بلد المهجر، حيث تصير الهجرة بمثابة استراتيجية أسرية، تسعى من خلالها الأسر إلى تقديم مجموعة من الخدمات التي تدفع بالمهاجر نحو وجهة رئيسية دون أخرى.

لقد تحكمت الروابط الاجتماعية في هجرة أبناء المنطقة نحو الخارج، ذلك أن الأسرة التي يهاجر أحد أفرادها سرعان ما تشهد أيضا هجرة أفراد آخرين مقارنة بالأسرة التي لا تملك مهاجرا فتنتقل بذلك عدوى الهجرة، فقد ظلت القرابة الدموية حاضرة بقوة في انتقال الفعل الهجروي،

فالأب يصطحب أبناءه والابن يحاول الالتحاق بوالده والأخ يعمل على مساعدة أحد إخوته على الهجرة، يقول أحد المستجوبين:

"(...) ف 1972 مُشِيَتْ لُطُورِيْنُو(منطقة ايطالية)، مَلِي رُجَعْتُ دَيْت وَاحْدُ الطِّفْلُ خُوِيَا (...) وَ مَلِي طَبَّقْتُ الفِيْرَا ف 1991 دَيْت الوُلَاذُ وَ مَوْلَاتِ الدَّارِ... " (مهاجر، ع.ز 68 سنة) (في سنة 1972 توجهت نحو طورينو "مدينة ايطالية"، وعند زيارتي للمغرب اصطحبت أخي (...) وبعدهما فرضت التأشيرة سنة 1991 قمت باصطحابي أسرتي المكونة من الزوجة والأبناء...)

حيث تتوفر عوامل انتشار وانتقال الفعل الهجروي بالنسبة للأسرة الأولى، وهو ما اتضح لنا خلال البحث الميداني إذ أمكننا الوقوف على تيارات هجروية متعاقبة. هذه التيارات الهجروية سوف تعمل على توسيع دائرة الهجرة لتشمل الأقارب والأصدقاء وأبناء الدوار من قريب أو بعيد، وبذلك تصير الهجرة ظاهرة تغذي نفسها بنفسها لتجعل من بني عمير مجالا هجرويا.

حيث تظل المؤسسة الأسرية كما أوضحت الباحثة سارة هاريزون، بشأن اتخاذ قرار الهجرة حافزا جوهريا في قرار الهجرة، هجرة فالأشخاص يتنقلون حيث يوجد بعض أفراد عائلتهم (أخ، عم، خال...)، مما يوفر لهم الدعم المادي والنفسي مما يساهم في التقليل من مخاطر وتكاليف المشروع الهجروي ويضمن نجاحه (سارة هاريزون، 1981، ص: 125).

"(...) كنت كل يوم أناقش والدي رغبي للملحة للهجرة نحو ايطاليا، وأحيانا أمتنع عن مرافقته في أعمال الفلاحة، فما كان منه إلا أن اقتنع بالفكرة خاصة بعدما شاهد تحسن وضعيية أحد أبناء عمي بعد هجرته، (...) وبذلك قام ببيع قطعة أرضية من أجل مساعدتي على الهجرة..." (مهاجر، ق.ر 60 سنة).

ومن ثم تحولت الهجرة إلى نوع من الاستثمار تتأكد فاعليته من خلال الزيارات المتكررة للمهاجرين وتحويلاتهم المالية. وهو ما يحيلنا على نموذج الربح ناقص الكلفة الذي أسس له Sjaastad، حيث تدرك الأسرة أن المنفعة التي ستحصل عليها من هجرة أبنائها تفوق بكثير التكاليف المترتبة عنها، وهو ما عبر عنه أحد الباحثين بعودة الاستثمار. (أبو العز، 2003، ص:120).

2.1.3 المستوى العائلي ضمن الشبكة الهجرية:

تتوسع دائرة الهجرة لتتعدى المستوى الأسري ضمن الشبكة الهجرية، حيث تساهم القرابة الدموية والروابط العائلية في انتشار الفعل الهجروي، هذه الروابط سواء كانت موروثية أو مستحدثة نتيجة المصاهرة بين الأفراد تعتبر من الآليات التي تساهم في انتشار الهجرة، حيث لا يتردد أبناء العمومة في مساعدة بعضهم البعض من أجل الهجرة نحو الخارج.

فقد أمكننا البحث الميداني من الوقوف على عدد مهم من المهاجرين الذين هاجروا نحو إيطاليا وإسبانيا بفعل مساعدة أحد أقاربهم سواء أثناء السفر أو عند الوصول إلى بلد المهجر، حيث صرح العديد منهم على دور أفراد العائلة الذين هاجروا مبكرا في توجيه هجرتهم نحو كل من إيطاليا وإسبانيا. فشبكة الهجرة تسهل إقامة المهاجر الجديد (Sofia Raimondi ; et Gisella Borri ; 2002 ; p: 358-366) باعتباره وافدا لا دراية له بالعالم الذي يستقبله، حيث يتم توجيهه وتقديم المساعدة له من طرف مهاجرين من أفراد عائلته، يصرح بعض المستجوبين:

" مُلِّي وَصَلْتُ لَطَالِيَانْ مَكْنُتْ كَنْعَرْفْ وَآلُو، دَخَلْتُ لِعَالَمْ غَرِيبْ عَلِيَّآ (...) وَآلَاذْ عَمِّي هُزُونِي (قدموا لي المساعدة)، وَوَرُونِي كَيْفَاشْ نُبِيْعْ وَنُشْرِي فَالطَّالِيَانْ (...) الْمُهْمُ بَقِيْتُ 15 يَوْمْ (...) وَمَنْ بَعْدُ وَوَلَيْتْ كَنْجِيْبُ السَّلْعَةِ بُوْحْدِي...". (مهاجر م أ 56 سنة) (عندما وصلت إلى إيطاليا لم أكن أعرف أي شيء، غير أن أبناء عمي قدموا لي يد المساعدة وساعدوني في ممارسة التجارة وبعدها بدأت أعتد على نفسي).

ومن ثم فالروابط العائلية (أخ، عم، خال، ابن العم...) ساهمت بدورها في هجرة عدد مهم من الأفراد من خلال الخدمات التي يقدمها المهاجرون لأبناء عمومهم سواء خلال السفر أو بعد الوصول إلى الخارج. وعليه تشكل هذه الروابط رأسمال عالي القيمة له دور مهم في نجاح مشروع الهجرة، كما يعتبر من آليات انتشار هذه الظاهرة.

2.3. يعتبر الانتماء الجغرافي والقبلي مستوى مهم ضمن الشبكة الهجرية:

فالدوار يشكل وحدة اجتماعية قوية، مما يجعل أبناءه وان لم تربطهم علاقات دموية لا يترددون في تقديم المساعدة لبعضهم، حيث تدخل شبكة الأصدقاء والمعارف ضمن الرأسمال

الاجتماعي (الأُسعد محمد، 2005، ص:51) الذي يلعب دورا مهما في توسيع دائرة الهجرة الدولية بين مناطق الانطلاق ومناطق الوصول، كما أن الانتماء المشترك لنفس الدوار أو الفخذة القبلية يجعل العديد من المهاجرين يقدمون المساعدة للأفراد الراغبين في الهجرة يقول بعض المستجوبين: " (...) هاجرت مع أحد المهاجرين من دوار أولاد ركيعة، حيث كان والدي على معرفة جيدة

به (...).، وقدم لي كل المساعدة سواء أثناء الهجرة أو عند الوصول فقد كنت في البداية أشغل معه في التجارة ومكثت معه مدة من الوقت (...) فأبناء الدوار يجب أن يقدموا المساعدة لكل مهاجر (...) وأنا بدوري ساعدت أحد الأفراد على الهجرة..." (مهاجر، و.ع 69 سنة).

فالمهاجرون بدول الوصول يشكلون شبكة ثقة *réseau de confiance* بالنسبة للوافد الجديد حيث يصبح مطمئنا للمساعدة التي سيجدها عند وصوله مما يشجعه على الهجرة، ومن ثم تتوسع الشبكة الهجروية. ومن ثم ساهمت الروابط القبلية والانتماء الجغرافي المشترك في هجرة العديد من الأفراد ببني عمير، حيث توسعت دائرة الهجرة وتطورت الشبكة الهجروية لتشمل الدوار بأسره، إذ لم تعد تقتصر على القرابة الدموية بل تعدت ذلك فأصبح الانتماء إلى موطن واحد يتحكم في توجيهها.

ولعل هذا ما يفسر لنا أشكال التضامن المتعددة بين المهاجرين بالمهجر بحكم انتمائهم لنفس الدوار ونفس المجال الجغرافي فيقدمون خدمات لمهاجرين لهم نفس الانتماء القبلي. مما يحيلنا عن الحديث آنذاك عن شبكة هجروية على المستوى المحلي وأحيانا تشمل هذه الخدمات مهاجرين من مناطق أخرى خارج بني عمير بحكم الانتماء إلى نفس الإقليم أو الوطن فيصبح للشبكة الهجروية حينئذ مفهوم جهوي أو وطني.

وعموما فان هجرة أحد الأفراد يبقى سلوكا فرديا في ظاهره ولكن أن تصير مهاجرا بإيطاليا أو اسبانيا هو صيرورة اجتماعية تلعب فيه الشبكة الأسرية والعائلية دورا مهما، فالفردي ينبغي أن يتوفر على المعرفة الهجروية *savoir-migrer*، ونعني بها مجموع الخبرات والمهارات التي يراكمها المهاجرون من خلال الشبكات الهجروية التي توفر كل الخدمات التي يحتاجها المهاجر الجديد لنجاح مشروع هجرته سواء بمناطق الانطلاق، أو العبور، أو الوصول. (Chadia. Arab, 2009,) p:37 ووفق هذا النموذج انتشرت الهجرة الدولية بمنطقة بني عمير.

3.3. الزيارات المتكررة للموطن الأصلي تعتبر من عوامل انتشار الهجرة:

تشكل تلك الزيارات التي يقوم بها المهاجر إلى مسقط رأسه، فرصة لإظهار مدى نجاح مشروعه الهجروي فأتثناء زيارته يعمل على توزيع عدد من الهدايا مثل "...بن وعطور وملابس وأجهزة منزلية وكهربائية". كما يستغل هذه الزيارات ليقدم لأسرته ما ادخره من مال بالمهجر ذلك أن المهاجرين الأوائل يحرصون على تحويل ما جمعوه من مال بشكل عيني (أوراق نقدية) لأسرهم، دون إرساله عن طريق البريد أو المؤسسات البنكية نظرا لعدم انتشارها بما يكفي آنذاك. أضف إلى ذلك أن هذا المهاجر خلال زيارته يصطحب معه وسيلة نقل خاصة مما يشكل مؤشرا على نجاح مشروعه الهجروي ومظهرها يعكس "الوجاهة الاجتماعية"، ويؤثر على باقي أفراد أسرته وأبناء جيرانه وشباب المنطقة، وهو ما أسماه أحد الباحثين "باستعراض العضلات". (عبد الرحيم العطري، 2006، ص:124).

هذه السلوكات تعتبر من الآليات المرئية التي تمارس تأثيرا نفسيا على الفئات المرشحة للهجرة من خلال الضغط والاستفزاز الذي تمارسه، والذي يؤدي في نهاية المطاف بهذه الفئات إلى الاقتناع بفكرة الهجرة وعمل المستحيل على تنفيذها ومن ثم انتشار ثقافة الهجرة. وتشكل هذه الزيارات التي يقوم بها المهاجر كل سنة نحو موطنه الأصلي جزءا من ثقافة الهجرة بالمنطقة، فالبحث الميداني يؤكد هذه الحركية المستمرة

ومن طبيعة الحال فالمهاجر من خلال هذه السلوكات فإنه يعبر عن مدى نجاح مشروعه الهجروي وتحقيقه لأحلام الشباب، فلا تلبث تترسخ في ذهن كل فرد فكرة الهجرة خاصة أولئك الذين تربطهم قرابة أو معرفة بالمهاجر العائد. إذ سرعان ما يسترجعون في الأذهان ماضي هذا المهاجر لمقارنته بالحاضر، مما يدفع بهم إلى التفكير بجديّة في إمكانات التحرر من قطران الوطن"، (العطري، 2006، ص: 129) ومن ثم تصير الهجرة وسيلة للحراك الاجتماعي وللقطيع مع الماضي. حيث تظل هذه السلوكات تمارس تأثيرها على الفئات المرشحة للهجرة حيث "تؤجج في أعماق الذين انسدت في وجههم الأفاق سؤال الهجرة نحو الضفة الأخرى (...). فعسل الفردوس

المفقود يصير مشاهدا من قبل الجميع، بل إنه يصير محرّضا ومحفّزا". (العطري، 2006، ص:124).

كم تصير الهجرة سلوكا يتم اكتسابه من المحيط الاجتماعي للفرد ليتم إعادة إنتاجه، ومن ثم تنتشر الهجرة كممارسة وتتوسع دائرتها وتشبه في ذلك "بقعة الزيت" التي سرعان ما تغطي مجالا شاسعا كلما وجدت ظروفًا ملائمة. فالتقليد الاجتماعي له حضور بارز في انتشار الهجرة بين الأفراد. حيث يسعى الفرد نحو تقليد النماذج السابقة خاصة تجارب الهجرة النموذجية والناجحة منها.

4.3 القرب الجغرافي من بني مسكين ساهم في انتقال الفعل الهجروي نحو بني عمير:

بالإضافة إلى العوامل الداخلية ببني عمير والتي تحكمت في انتقال الفعل الهجروي بين مناطقه، فقد ساهمت عوامل خارجية عنه في ترسيخ ثقافة الهجرة بهذا المجال، ونعني هنا التأثير الذي قامت به منطقة "بني مسكين". حيث تعتبر منطقة بني مسكين التي تقع بالجنوب الشرقي لإقليم سطات من المناطق التي هاجر أبناؤها نحو إيطاليا منذ الستينات واستفادت في ذلك من علاقاتها مع الدار البيضاء والتسهيلات التي حظي بها الأفراد للحصول على جواز السفر، وهو ما جعل هذه المنطقة تراكم رصييدا هجرويا مهما حيث استطاع المهاجرون الأوائل إنشاء شبكة هجروية *réseau migratoire* نجحت في استقدام مرشحين جدد. حيث شكل نجاحهم في العبور إلى الضفة الشمالية نموذجا يقتدى به لدى شباب المنطقة، كما شكلوا شبكة للتواصل والإخبار، مما ساهم في نشر ثقافة الهجرة داخل مجال بني عمير، يقول أحد المستجوبين:

" (...) في يوم كنت جالسا بأحد المقاهي بالدوار، حيث التقيت بأحد المهاجرين من بني مسكين يدعى صالح المسكيني، (...) وقد كان مقررا أن يرجع إلى إيطاليا اليوم الموالي، فطلبت منه أن يصطحبني معه خلال رجوعه (...) وأقنعه أحد أعمامي بذلك نظرا للصدقة التي جمعتهما، وبالفعل وافق على طلبي فهاجرت إلى إيطاليا رفقته..." (مهاجر، م.ك 62 سنة).

فقد استفاد العديد من المهاجرين من خدمات ووساطة مهاجري منطقة بني مسكين التي راكمت رصييدا هجرويا مهما، مما مكّنتهم من إنشاء شبكة هجروية مبكرة بإيطاليا سيكون لها دور كبير في توجيه هجرة بني عمير وتقديم المساعدة اللازمة لهم سواء أثناء الهجر أو عند الوصول.

كما ساهم القرب الجغرافي في استقرار العديد من الأفراد من بني مسكين في مناطق بني عمير، مما شكل عاملا مهما في انتقال الفعل الهجروي، فيكفي أن نقف على أحد الدواوير لمعرفة مدى مساهمة هذا العامل في إدخال ثقافة الهجرة، ففي دوار أولاد ركيعة مثلا وجدنا أن أحد المهاجرين الأوائل من بني مسكين كان استقراره بالمنطقة منذ مدة في إطار العلاقات الفلاحية لمهاجر إلى ايطاليا رفقة اثنين من أبناء الدوار وخلال زيارته المتكررة لمسقط رأسه كان يصطحب معه أفرادا آخرين مما ساهم في توسيع دائرة الهجرة بالمنطقة.

4. خاتمة:

هكذا يتضح لنا بأن بني عمير قد أصبحت منطقة لانطلاق عدد من المهاجرين في اتجاه كل من ايطاليا واسبانيا مما جعل منها حوضا هجرويا مهما على الصعيد الوطني بدءا من الثمانينات. هذا الاندماج في مسلسل الهجرة الدولية مرده إلى الظروف التي عرفتها المنطقة خلال هذه الفترة، والتي تمثلت في تأزم القطاع الفلاحي بسبب النتائج السلبية لبرنامج التقويم الهيكلي على القطاع الفلاحي، وما عرفه المغرب آنذاك من فترات جفاف متعاقبة.

هذا الوضع انعكس سلبا على القطاع الاجتماعي حيث ساهم في الرفع من حدة البطالة، مما دفع بالعديد من شباب المنطقة إلى التفكير في الهجرة خاصة بعد ظهور دول جديدة تعاملت بنوع من المرونة مع المهاجرين، ونعني هنا كل من ايطاليا واسبانيا فهذان البلدان قد تحسن نظامهما الاقتصادي وأصبح عاملا مشجعا لاستقطاب المهاجرين.

فالهجرة عرفت انتشارها الواسع بالمنطقة بفضل تواجد شبكة هجروية مهمة ببلدان المستقبل نجح في إنشائها المهاجرون الأوائل، حيث لعبت العلاقات الاجتماعية والروابط العائلية والأسرية دورا مهما في انتشار الفعل الهجروي. كما كان لمنطقة بني مسكين دور أساسي في هجرة العديد من الأفراد بحكم علاقة الجوار الجغرافي التي جمعتهم، لتتحول بذلك بني عمير في ظرف وجيز بفعل هذه الآليات إلى حوض هجروي بامتياز.

وانطلاقا من نتائج هذا البحث يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

- ضرورة تـثـمـيـن الـذاكـرة الـهـجـروية للمنطقة باعتبارها تشكل رافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فالهجرة قد ساهمت في مجموعة من التحولات المجالية والمجتمعية.
- اعتبار الذاكرة الهجروية للمنطقة بمثابة رأسمال رمزي ينبغي توظيفه في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فالتجارب والخبرات التي حصل عليها العديد من مهاجري بني عمير تفوق قيمتها قيمة العملة الصعبة.
- تـثـمـيـن كل ما له علاقة بالذاكرة الهجروية من خلال ما يتم جمعه من وثائق، صور، أمثال شعبية...، بهدف التعريف بها في إطار متحف للذاكرة الهجروية للمنطقة نظرا لأهميته في حفظ هذا التراث الشفوي وكذا لتوثيق الفعل الهجروي.

- قائمة المراجع:

- أبلال، عياد، (2006)، الهجرة السرية مقارنة سوسولوجية، مطبعة أنفوبرانت، ط 1. فاس.
- توفيق أكومي، (2000)، البحث في الجغرافية البشرية بين مفترق الطرق بين المنهجين الكمي والكيافي، مجلة جغرافية المغرب، مجلد 20، السلسلة الجديدة، عدد 1-2.
- سارة، هاريزون، (1981)، هيكل الأسرة وقرار الأسرة بشأن اتخاذ قرار الهجرة. مناهج متعددة الاختصاصات للدراسات على المستويات البسيطة في الدول النامية والمتقدمة. مطابع بيرجام.
- عبد الرحيم، العطري، (2006)، تحولات المغرب القروي: أسئلة التنمية المؤجلة، طوب بريس، ط 1، الرباط.
- عبد الفتاح، أبو العز، (2003)، تأثير الهجرة الدولية على المجال الريفي بتادلة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- عبد المجيد، ازمو، (2006)، التوسع الحضري واستهلاك المجال الفلاحي بسهل تادلة حالات بني ملال والفقير بن صالح والسبب وأولاد النمة، أطروحة لنيل الدكتوراه كلية الآداب، بني ملال.
- عبد الله، عوينة، (1982)، المظاهر المناخية للقحولة: الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء، مجلة جغرافية المغرب، السلسلة الجديدة، عدد 6.
- غدنز، أنتوني، (2001)، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة فايز الصايغ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط 4 بيروت.
- كيال، مها، (2015)، السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية، مجلة الثقافة الشعبية، أفاق، عدد 29.
- محمد، أسعد، (2014)، التحولات المعاصرة للمسكن الريفي: حالة هضبة بن سليمان، في كتاب: دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، تنسيق: موسى كرزازي، محمد الأسعد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 121، ط 1، الرباط.
- محمد، مدينة، (1992)، بعض مظاهر تكثيف أنظمة تربية الماشية بسهل تادلا حلة قطاع بني عمير، مجلة تادلا التاريخ، المجال، الثقافة، عدد 1، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب بني ملال.
- منير، صالح، (1996)، من الفقير بن صالح إلى ميلانو: الهجرة الدولية المغربية إلى إيطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط.

- Chadia .Arab, (2009), Les Ait Ayad la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie, Presses universitaire de Rennes.
- Khadija Elmadmad, (2004), les migrants et leurs droits au Maghreb, EL MAARIF AL JADIDA-RABAT.
- Sofia Borri, Gisella Raimondi, (2002), Les activités de travail indépendant des immigrés marocains en Lombardie, AMERME, Milano, Exodus.

5. ملاحق:

الصفحة	العنوان	الشكل
03	خريطة توزيع الدواوير التي خضعت للدراسة الميدانية.	الشكل رقم 1.
09	جدول تطور البطالة في المغرب ما بين 1990 و2000.	الشكل رقم 2.